



خطبة صلاة الجمعة 15 / 5 / 2015 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(حب العطاء-2)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (هَذِهِ أَجْمَعُ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ مُتَتَلٍّ، وَلِشَرٍّ يُجْتَنَّبُ).

روى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ» [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة السابعة عشرة في سلسلة خطب عنوانها (فضيلة... أخلاق تعاملية)، بإمكانك التدرب على الخلق الحميد لتكتسبه، وبإمكانك التخلي عما علق بك مما لا يليق بمثلك. وهذا هدف السلسلة.

عنوان خطبة اليوم: (حب العطاء - 2)

سبق - أيها الإخوة - أن حبَّ العطاء خلقٌ عظيم ترجع إليه مجموعة فروع خلقية وسلوكيات محمودة، ويشمل العطاء من المال والعطاء، من العلم والمعرفة، والعطاء من الجهد والنفس، ويرتقي ليصل إلى بذل الروح شهادة في سبيل الله.

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلةٍ من الليالي يطوف يتفقد أحوال المسلمين، فرأى بيتاً من الشَّعر مضروباً، لم يكن قد رآه بالأمس، فدنا منه، فسمع فيه أنينَ امرأةٍ، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه وقال له: من الرجل؟

فقال له: رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله، قال: فما هذا الأنين؟ قال: امرأة تتمخض قد أخذها الطَّلَق قال: فهل عندها أحد؟ قال: لا، فانطلق عمر فجاء إلى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: هل لك في أجر قد ساقه الله تعالى لك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأة تتمخض ليس عندها أحد. قالت: إن شئت.

قال: فخذني معك ما يصلح للمرأة من الحِرَق والدُّهن، وائتني بقدرٍ وشحم وحبوب. فجاءت به، فحمل القدر، ومشيت خلفه حتى أتى البيت، فقال: ادخلي إلى المرأة، ثم قال للرجل: أوقد لي ناراً، ففعل، فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة، فقالت أم كلثوم رضي الله عنها: بشّر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام، فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل، فقال عمر رضي الله عنه: لا بأس عليك، ثم قام وأخذ القدر من على النار وحملها إلى باب البيت، وأخذتها أم كلثوم، وأطعمت المرأة، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم، فقال عمر رضي الله عنه للرجل: قم إلى بيتك وكنْ ما في البرمة، وفي غدٍ آت إلينا، فلما أصبح جاءه، فجهزه بما أغناه به وانصرف. إنه خلق حب العطاء.

روى الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

إنها تربية على حب العطاء.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39].

إنها تربية على حب العطاء.

روى الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «على كُلِّ مسلمٍ صدقةٌ»، قيل: أرايت إن لم يجد؟ قال: «يَعْمَلُ يَدِيهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قال: أرايت إن لم يستطع؟ قال: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قال: قيل له: أرايت إن لم يستطع؟ قال: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ الْخَيْرِ»، قال: أرايت إن لم يفعل؟ قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صدقةٌ».

إنها تربية على حب العطاء.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: 180].

إنها تربية على حب العطاء.

أيها الإخوة:

كيف ننمي حب العطاء في أنفسنا، كيف نُطَهِّر النفس من رذائل الأثرة والشح، كيف نتدرب على البذل للآخرين وعطاء الآخرين وإيثار الآخرين؟

أربعة تنمي خلق حب العطاء عندك:

أولها: الإكثار من ذكر الله: لأن من أكثر من ذكر الله أحبه، ومن أحب الله أحبَّ أوامره ونواهيه وسابق إليها.

الإكثار من ذكر الله لأنَّ مَنْ ذكر الله أحبه، ومن أحبه أحبَّ خلقه ومن ينسب إليه، فبادر إلى عونهم ومساعدتهم وعطائهم. لأن المنسوب إلى المحبوب محبوب، والمنسوب لجانب الحق تنبغي مراعاة نسبته.

الإكثار من ذكر الله لأن من أكثر من ذكر الله أحبه، ومن أحب الله عظمه وهان عليه ما يبذل من أمور الدنيا في طلب رضاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: 41، 42]

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

ثانيها: صحبة أهل الله: لأنهم قوم درَّجهم القرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على حب العطاء فأعطوا، وحبَّهم الذكرُ بخلق الله فبذلوا.

ذكروا عن الشيخ محمد بن علي الشوكاني صاحب كتاب (نيل الأوطار) وهو كتاب معتمد في شرح أحاديث الأحكام، أنه كان يدرِّس كل يوم عشرة دروس من بعد صلاة الغداة وحتى صلاة الظهر ومن بعد صلاة العصر وحتى العشاء ولا يتقاضى على ذلك أجراً.

وعامة من سبق من علمائنا كانوا يعطون لله تعالى، وعامة من تعرفون من الدعاة والداعيات اللذين يعلمون في معاهد القرآن الكريم يعملون حسبة لله تعالى، وكل شيوخ الإقراء والتحديث والفقهاء في هذه

البلدة يعتقدون مجالس العلم العامة في مساجدهم تقرباً لله تعالى يبذلهم العلم للخلق، بل إني أعلم منهم من عُرضت عليه الأجور العاليات في بلاد أخرى على أن يترك طلابه هنا الذين يدرسون عليه مجاناً فبقي مع طلابه وألقى تلك الأجور العاليات وراء ظهره.

بل إن منهم من لا يجيز لنفسه أخذ الأجر على تعليم القرآن والحديث وعلوم الدين إلا ما اضطر إليه. ذكر أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابه العظيم (ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين)، أن شيخاً من علماء المسلمين في الهند كان يعمل في بلدة (رامبور) الهندية براتب زهيد يتقاضاه كل شهر لا يزيد على عشر روبيات (أقل من جنيه مصري) فقدّم إليه حاكم الولاية الإنجليزي المستر هاكنس وظيفة عالية في كلية بريلي (وهي في مدينة هندية أخرى) راتبها مائتان وخمسون روبية (خمسين جنيهاً مصرياً) ووعد بالزيادة في الراتب بعد قليل، فاعتذر الشيخ عن قبوله وقال: إني أتقاضى عشر روبيات وإنها ستقطع إذا تحولت إلى هذه الوظيفة.

فتعجب الإنجليزي وقال: ما رأيت كالיום: أنا أقدم راتباً يزيد على راتبك الحالي بأضعاف الأضعاف، وتترك الأضعاف المضاعفة وتقتنع بالنزير اليسير! فتعلل الشيخ بأن في بيته شجرة سدر وهو مغرم بثمرها وأنه سيحرمها إذا أقام في بريلي.

ولم يفطن الإنجليزي بعد إلى مقصود الشيخ. فقال: أنا زعيم بأن هذا الثمر يصل إليك من رامبور إلى بريلي، فتشبت ثالثة بأن حوله طلبة وتلاميذ يقرؤون عليه في بلده فلو انتقل إلى هذه الوظيفة انقطعت دروسهم. ولم ييأس الإنجليزي المناقش من إقناعه فقال: أنا أجري لهم جريات في بريلي ويواصلون دروسهم هناك، وهنا أطلق الشيخ آخر سهامه الذي أصمى رميته فقال: وماذا يكون جوابي غداً إذا سألتني ري: كيف أخذت الأجرة على العلم؟ وهنا نُجت الإنجليزي وسقط في يديه وعرف نفسية العالم المسلم، وقضى الشيخ حياته على أقل من جنيه يأخذه كل شهر.

إنَّ أهل الله تدربوا على إعطاء الخلق تقرباً للخالق، وكثير منكم أيها الإخوة سمع ولعل بعضكم رأى الشيخ يحيى الصباغ رحمه الله والذي كان مشهوراً بإطعام الطعام، وإنفاق المال في قضاء حوائج الخلق من عرف منهم ومن لم يعرف، وكم من المرات أعطى المال لأناس في الطريق العام كانوا محتاجين لمبلغ يساويه بالضبط.

وأذكر أن شيخنا الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله كان يواصل الليل بالنهار في الدعوة إلى الله وتعليم الخلق وبذل البر لهم، وسأله لم تُتعب نفسك ومن حولك فأجاب: حتى إذا وقفت بين يديه يوم القيامة يقول لي: رضيت عليك يا أحمد.

إِنَّ من يصحب أهل الله من العلماء العاملين والصلحاء الذاكرين يدربونه على حب العطاء تقرباً
لرب الأرض والسماء.

ثالثها: مجاهدة النفس:

لأن النفس تحب الاستئثار بالخير وحدها دون الآخرين، وتحب تملك المال والجاه وحدها تعالياً على
الآخرين، فعليك بتدريتها على بذل الخير لغيرك وبمجاهدتها في إعطاء النصيب الأحسن لغيرك
وبمخالفتها إن دعتك لهضم حقوق غيرك.

دربها على العطاء والكرم فإنما الحلم بالتحلم، وإنما العلم بالتعلم، وإنما الكرم بالتكرم.
ربما دعتك إلى حبس ملخصات جيدة صنعتها للامتحان الجامعي عن أصدقائك، فخالفها وقدم هذه
الملخصات لأصحابك لينتفعوا بها وتنتفع.

ربما دعتك إلى أخذ العقار الأفضل من إرث أبيك دون إخوانك فجاهدها وأعط إخوانك الأحسن
وخذ أنت دون ذلك.

ربما دعتك للجلوس أولاً على الطعام لتتناول نصيبك الأوفى من الطعام الأشهى فجاهدها وقدم من
هو أكبر منك قدراً وسناً إكراماً له ثم قدم من هو أصغر منك سناً وقدراً عطفاً عليه.
ربما دعتك إلى نيل حقك كاملاً في حياتك الزوجية وإلى عدم تنازلك عن قليل أو كثير من
حقوقك، فخالفها وآثري زوجك وأولادك وأعطهم يعطك الله.

من أراد أن يتدرب على حب العطاء وجب عليه مخالفة النفس ومجاهدتها.

رابعها الأخير: لزوم مجالس العلم:

لأن العلم ينبيك بأن من أعطى الله وبذل لله وخدم خلق الله تقرباً إلى الله، كان في عناية الله، وكافأه
الله مكافأة من جنس عمله؛ فيسر أمره لتيسيره أمور الخلق، وقضى حوائجه لقضائه حوائج الخلق،
وأعطاه مما عنده لأنه يعطي العباد مما عنده.

أيها الإخوة:

أختم خطبة اليوم بما ختمت به خطبة الأسبوع الماضي فأقول:

حب العطاء خلق نبيل تجتمع عنده خصال حميدات وأخلاق فاضلات، فأعطوا الخير من أنفسكم
وقدموا النفع لمن استطعتم، وبروا آباءكم وأبناءكم، وصلوا أرحامكم وجيرانكم، ومروا بالخير وألقوا

السلام على من عرفتم ومن لم تعرفوا، فإن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون
حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.
هذا، ومن أراد منكم أن ينمي خلق حب العطاء عنده فعليه بذكر الله، وصحبة أهل الله، ومجاهدة
النفس، ولزوم مجالس العلم.

والحمد لله رب العالمين